



## لبنان جديد، لا لبنان العائد

أتراها انتصرت المعارضة؟ ليس بعد، لكن الاستماع الى المتابعين العرب للشأن اللبناني يوحي أن الانتصار صار شبه محتم، وهذا عظيم كونه يزيد من صدقية المعارضة كمشروع حكم ويشدّ الهمم. غير ان ثمة فرقا بين رصد حركة صعود المعارضة والتوهم أنها انتصرت منذ الآن. وهذا الوهم غاية في السوء لأنه يخفف من التعبئة ويعرّض في الآن نفسه أئتلاف المعارضة الى التمزق تحت وطأة الاطماع المتضاربة للمسترشحين. والخطر انه يشجع اطرافاً فيها على استعجال الخروج من منطق التسوية التي قامت على اساسه، لاعتبارهم ان ساعة الثأر قد دنت. والحال اننا بدأنا نرى نتيجة هذا الاستعجال ما هو اسوأ من اعتقاد البعض انهم وصلوا الى السلطة، وهو اعتقاد بعض آخر انهم عادوا اليها!

لم يفت الأوان بعد، ولحسن الحظ، ولا يزال ممكناً استدراك هذا الانحراف الذي يهدد المعارضة الموحدة كمشروع للمستقبل، وينزع الى تحويلها مطية للثأر. لكن الاستدراك لا يكون الا بتعيين مكنم الخلل من دون مواربة، وهو موجود اليوم في الجزء المسيحي من هذه المعارضة، وبشكل اكثر تحديداً في الاطراف الذين شاركوا في الحرب او ورثوا الطاقم السياسي الذي قاد البلاد الى الخراب. فقد بدأنا نسمع في هذه الاوساط نغمة غير مستحبة عند شركائهم في المعارضة، وسواء في ما تتناقله بورصة الترشيحات، او في بعض الكلام السياسي او عند التماس مع جمهور هذه القوى، كما حصل في الاسئلة الموجهة الى وليد جنبلاط في الجامعة اليسوعية. انها نغمة غير مستحبة لأنها لا تخرج فقط عن "وثيقة البريستول"، بل ايضاً عن خط "لقاء قرنة شهبان".

للمزيد من الصراحة، فإن منحى التشكيك في عروبة لبنان لا يخدم تماسك المعارضة ولا صورتها الخارجية في اللحظة التي نسمع فيها من عدد من قادة الرأي العربي تعويلاً على التحول المرتقب في لبنان من اجل تحريك المناخ الديموقراطي في المنطقة. كذلك لا ينفع الاستعلاء في ادعاء تعليم العرب الديموقراطية حين يكون اتكال المعارضة اللبنانية على الاعلام الفضائي العربي من اجل كسر الصمت الذي تتواطأ القنوات اللبنانية في التزامه بحجة الضغط الامني عليها.

ولا ينفع خصوصاً الغرف من مخزون الحرب من دون اي نقد ذاتي، بل مع ادعاء الطهارة. المشهد لا يخلو من الظلم: وليد جنبلاط اعترف بالعديد من الاخطاء التي كان مسؤولاً عنها، "اليسار الديموقراطي" بنى وثيقته التأسيسية على مراجعة تجربة الحرب، اطراف آخرون يأتون من تراث "الحركة الوطنية" (من دون ان يكونوا بالضرورة في المعارضة اليوم) قاموا بالحد الأدنى من النقد الذاتي، وخارج المسرح السياسي اللبناني سمعنا من مسؤولين ومتقنين فلسطينيين عديدين الاعتذار تلو الاعتذار. في المقابل، لا شيء تقريباً من الاطراف الذين كانوا منضوين في "الجبهة اللبنانية".

لم يخرج عن القاعدة الا افراد. فهناك المراجعة الشجاعة التي قام بها جوزف ابو خليل في "قصة الموارنة في الحرب"، لكنها تناولت بشكل اساسي مسألة التحالف مع اسرائيل من دون اعادة نظر في مسببات الحرب. وهناك ايضاً الاعتذار العلني المكتوب الذي وجهه الى ضحاياه اسعد الشفطري المسؤول عن الامن في "القوات اللبنانية" في زمن الياس حبيقة. اما المراجعة التي قام بها الياس حبيقة نفسه، فلا يمكن الاخذ بها جدياً كونها نقلته من خندق الى خندق، ومن جهاز مخبرات الى آخر.



في ما عدا ذلك، لا شيء لا عن مسؤولية الاحزاب المسيحية في رفض الاصلاحات السياسية عشية اندلاع الحرب، او في نشر ثقافة السلاح ومنطق الفرز الطائفي، او في تضخيم "الخطر الفلسطيني" الذي حتى، وإن ثبتت خطورته، لم يكن يستدعي تدمير الهيكل فوق رؤوس الجميع. فكل ما نسمعه هو في الحقيقة نقيض المراجعة المطلوبة.

أولاً من خلال الامعان في تحميل "الأخرين" مسؤولية الحرب، كما يستشف من الجمهور الطالب لهذه الاحزاب، وسواء كان "الأخرون" محددين (الفلسطينيون، السوريون، "اليسار الدولي" على ما ظل يردد بيار الجميل الجد، المسلمون المطعون في لبنائيتهم)، او كانوا غير محددين بواسطة مقولة "حرب الآخرين على ارضنا" بعد اصفاء صدقية عليها بنسبها زوراً الى غسان تويني (يا ليتة ينشر تصحيحاً يومياً على صدر "النهار" للتذكير بأن ترجمة عنوان كتابه الشهير الصادر بالفرنسية والمعاد طبعه أخيراً في بيروت هي "حرب من اجل الآخرين" وليست "حرباً او حروب الآخرين"). طبعاً، كان يصعب الطلب من المسيحيين اجراء المراجعة اللازمة في مرحلة "الاحباط" التي تلت انتهاء الحرب، وتميزت بمحاولة اقضاء القوى الناشطة بينهم من الساحة السياسية. ولعله لا يزال مستحيلاً طلب ذلك من "القوات اللبنانية" ما دام سمير جعجع في السجن. ولكن الاحباط انتهى الى حد صار المسيحيون يشعرون بأنهم "عائدون". وفي ما عدا جعجع نفسه، بات مطلوباً ممن انتموا يوماً الى مناخ "الجبهة اللبنانية" الاقتناع بانهم ليسوا في حل من واجب النقد الذاتي.

اكثر من ذلك، قد يكون عليهم ان يدركوا ان تعميم الشعور بـ"العودة" يشكل ضرباً للمعارضة في الظاهر. فبينما تكمن قوة المعارضة في كونها تمثل نواة عقد اجتماعي جديد قائم على التنازلات المتبادلة، تنذر بعض التصريحات وكذلك بعض الاسماء المطروحة للترشيح بنسف مبدأ التسوية التاريخية، وتالياً بإفقاد اللائحة الجمهورية المعارضة معناها. وينطبق ذلك تحديداً على ترشيحات قد ترغب في اكتساب شرعيتها من ظل بشير الجميل، لكنها لن تنجح في ان تكون اكثر من ترشيحات تحد. فبشير بشير الجميل ليس مشروعاً لمستقبل لبنان الموحد، وإحياء منطق "الجبهة اللبنانية" لا يفيد الا في تشويه صورة المعارضة الموحدة سنة ٢٠٠٥، في وجه خصم ينتمي مثلها الى سنة ٢٠٠٥.

غير ان واجب المراجعة لا يمكن تركه الى الاحزاب المسيحية المحاربة سابقاً وحدها، اذ تشترك فيه ايضاً "قرنة شهبان" التي بات عليها ان تقدم، وإن متأخرة، على ما تخلّفت عنه، اي الجهد التثقيفي التربوي لشرح الاسس التي قامت عليها، واولها الطائف، وثانيها الاقبال على عروبة متحررة. بل تشترك فيه المعارضة بأكملها فهي القادرة، ان حافظت على زخمها، على تصحيح النتوءات، مثلما حصل بعد تصريح بيار الجميل الحفيد حول "النوعية". ولعل اهم ما يجب ان تصححه المعارضة الآن هو استقبال التقطيع الانتخابي على اساس القضاء بصفته انتصاراً طال انتظاره، او اعادة اعتبار على قاعدة "لا يصح الا الصحيح". فاذا كانت العودة الى قانون ١٩٦٠ هون الشرور في ظل هذه السلطة التي لا توحى الثقة، فيجب ان يتذكر المرشحون للانتصار ان الوفاء للعقد الاجتماعي الجديد يتطلب العودة بعد انتصار المعارضة الى ما نص عليه الطائف، ولكن بروحية عصرية وحيادية وبنفس خلاق يتسع للنسبية والكويتا النسائية، ويجعل الاقتراع في مكان الإقامة الفعلية وليس في ضيعة الاجداد. لا، لم تنتصر المعارضة بعد. بل انها لن تنتصر الا اذا حددت مسبقاً معنى الانتصار كانتصار لمعارضة ٢٠٠٥، وادركت وقالت ورددت ان لبنان المتحرر من هيمنة الحكم البعثي في دمشق هو لبنان يجب اختراعه وليس اجتراره.

سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>05-Pr-000548</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		لبنان جديد، لا لبنان العائد
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٥/١/٢٨ 28/1/2005
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	وليد جنبلاط - الياس حبيقة - جوزف ابو خليل - بيار جميل (حفيد) - بشير جميل - اسعد شفتري - بيار جميل - سمير ججع - بيار جميل (جد) - غسان تويني
	<b>Locations</b>	لبنان - سوريا
	<b>Dates</b>	١٩٦٠ - ٢٠٠٥
	<b>Themes</b>	لبنان - سوريا - وصاية - حكم بعثي - معارضة لبنانية - حرب لبنانية - وثيقة بريستول - لقاء قرنة شهوان - أحزاب مسيحية - ما بعد حرب لبنانية - يسار ديموقراطي - حركة وطنية - اعلام فضائي عربي - قانون انتخابات - قوات لبنانية - دور فلسطين - جبهة لبنانية - ديموقراطية - اتفاق طائف
<b>Subject</b>		